

التنكير وجمالياته البلاغية في نهج البلاغة دراسة «بعض الحكم» نموذجاً

سيد محمد ميرحسيني^١، علي أسودي^{٢*}

١- أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الإمام الخميني الدولية قزوین

٢- طالب الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران

aaswadi@yahoo.com

تاريخ قبول البحث: ١٣٩١/١٢/١٦

تاريخ استعلام البحث: ١٣٩١/٠٢/٢٤

الملخص:

إحدى القضايا الهامة في البلاغة، موضوع التنكير والذي يندرج في قضايا علم المعاني ولاستخدامه أغراض بلاغية عالية يمكن استشفافها في القرآن أما استشفاف ولاستخدام الكلمة نكرة أرجحية لما يحتويه من معنى لا يمكن التعبير عنه بالتعريف.

ولذلك قمنا بضبط الملامح الدلالية للتنكير في كلام أمير المؤمنين لنعرض بذلك بصمة من عمق فصاحته و نرد ثانياً على من يشيع مزاعم حول عدم صحة نسبة النهج إلى الإمام علي (ع) حيث لا يمكن صدور كلام كهذا إلا لمن له باع طويل في الفصاحة كأمر المؤمنين (ع).

وهناك مزاعم ضعيفة حول انتقال النهج بيد الشريف الرضي و نرى في ملامح التنكير الموجودة في جزء يسير من نهج البلاغة أن الجماليات التي تتجلى في نهج البلاغة مهما سميت عبقرية الشريف الرضي ومهما راقت جلالة كلامه فإن اللمسات الخلابية المرئية في نهج البلاغة لا تنبثق إلا ممن ينهل كلامه من القرآن ويستقي مادته من الذكر الحكيم وهو الإمام علي (ع).

وقد جرى الإمام علي (ع) ببلاغته الواسعة وعبقريته الفذة على إصدار الكلام منسجماً مع مقتضى المعنى وقد توافقت استخداماته بالاستخدامات الواردة في القرآن و حذت حذوها وجاء هذا الأسلوب (التنكير) في طيات كلامه المجموع في نهج البلاغة. وقد قمنا بإحصاء هذه الظاهرة وتبيين جمالياتها في الحكم نموذجاً، وأوردنا المعاني الرائعة لها في بعض الحكم كالتعظيم والتكثير والنوعية و... .

الكلمات الرئيسية: نهج البلاغة، التنوين، التنكير، التكثير، التعظيم.

١ - توطئة

إنَّ القارئَ لنهجِ البلاغة يجد نفسه بين دفتين تفيضان معنى وبلاغةً ويستشفّ من طياته أنّ الكلام فيه ينجم من عين لا تنضب وتأتي العبارات تويّاً وارتجالاً وهي تتناسب مع المعنى المتوخّى وتشتمل في حواياها على أفكار وصور ومعان تنبع من أساليب وطرق تعبيرية دون غيرها حتى توصل المفاهيم في أفضل طريق إلى المخاطب وذلك في أطر ونظم أسلوبية اختيرت في مكانها المناسب.

إنَّ نهج البلاغة — كما يقول ابن أبي الحديد — إذا تأملته: " وجدته كلّ ماءً واحداً، ونفساً واحداً، وأسلوباً واحداً، كالجسم البسيط الذي ليس بعض من أبعاضه مخالفاً لباقي الأبعاض في الماهية" (ابن أبي الحديد، ١٣٨٤، ص ١٢) وهو — في عظمته الأسلوبية — يحتوي على عبقرية الجمال اللفظي، تلك العبقرية التي تتمثّل في علاقة اللفظة بالأخرى، والتي تُردّ في خطب ورسائل وحكم تأخذ فيها اللفظة بعنق قريبتها، جاذبة إيّاها إلى نفسها، دالّة عليها بذاتها كما تلعب الأدوات البلاغية دوراً حاسماً في تأدية الوظيفة الدلالية التي تتناسب مع المعنى ومقتضى الحال.

وقال عنه محيي الدين الخياط وهو أحد المعلقين على شرح النهج للشيخ محمد عبده: "لئن فاحر اليونان بدمستينوس، والرومان بشيشرون، والفرنسيون بفولتير، والإنكليز بميلتون والايطاليون بدانتى، فنحن نشمخ بأنفنا بالإمام العظيم والعربي الصميم علي بن أبي طالب (ع) رب الفصاحة والبلاغة" (الخفاجي، ٢٠٠٧، ص ١٢).

و وصف نهج البلاغة كريم شلال الخفاجي خير توصيف إذ يقول: " ويبدو أنه عزّ على بعض الناس من المتقدمين أن يكون هذا السفر الخالد أنموذجاً من كلام الإمام علي (ع) وصورة مصغرة من نهجه العام في الدين والسياسة والإدارة العامة للدولة، مما أراد تطبيقه عندما آلت إليه الخلافة، فسرعان ما توجهوا بسهام الشك زاعمين أنه ليس من كلام الإمام علي (ع) وإنما الذي جمعه ونسبه إليه واضعه (الشريف الرضي)، ولا يستغرب من ذلك أي متفطن حاذق، فالكثير منهم حاول الوصول إلى ما وصل إليه الإمام علي بن أبي طالب (ع) من السمو والرفعة ورجاحة العقل، فأرادوا النيل من هذا البحر الزاخر لكن دون جدوى يقول الشافعي: وحسبك أنه لم يدون لأحد من فصحاء الصحابة العشر ولا نصف العشر مما دون له، ويقول عنه الشيخ محمد عبده: فأحدر بالطالبيين لنفائس العربية والطامعين في التدرج لمراقبها أن يجعلوا هذا الكتاب أهم محفوظهم وأفضل مأثورهم مع تفهم معانيه في الأغراض التي جاءت لأجلها، وتأمل ألفاظه في المعاني التي صبغت للدلالة عليها، ليجدوا بذلك أفضل غاية، وينتهوا إلى خير نهاية". (المصدر نفسه، ص ١٨)

٢- أطر ومفاهيم

نشير هنا إلى اختلاف مفهوم الكلمة في التنكير عما هي عليه في التعريف؛ وهو اختلاف لا ينشأ من بنيتها فقط في كثير من الأحوال وإنما ينشأ أيضاً من دلالتها واختلاف أسلوب استعمالها... ولعل الفارق الأساس بين التعريف والتنكير أن التنكير لا يعرف بأداة معينة؛ وإنما يكون اللفظ مطلقاً من قيود التعريف؛ أو من المعارف السبعة التي ورد ذكرها فالتنكير مطلق، والتعريف يأتي ليقيد ذلك الإطلاق... ويجدد وجوه اللفظ في دلالاته واستعماله.

وقد تطرق إلى هذا المفهوم البلاغي كتب النقد والبلاغة منذ القدم و أدرجوا في طبقات علم المعاني قضية التنكير للمسند والمسند إليه والفضلات كذلك و استشهدوا بكثير من الآيات واستخدموها للتعبير عن أهمية هذا الأمر في الدراسات البلاغية وما يدعي أحياناً بالدراسات الدلالية والأسلوبية. يجزم غالبية علماء البلاغة بأن التنكير ووقوعه في الكلمات من دقائق القضايا التي تنجم عن اختيار دقيق و صائب، و اختيار الكلمة نكرة يأتي استجابة لدواع بلاغية سامية و اهتم بها كثير من العلماء بين مفسر وناح و بلاغي و أسهبوا فيه إسهاباً. وهذا الكلام قد يوحي إلى المتلقي أو قد "يظن أن المعرفة أجلي، ومن النكرة أولى. ويخفى عليه أن الإبهام في مواطن خليق، وأن سلوك الإيضاح ليس بسلوك للطريق؛ خصوصاً في موارد الوعد والوعيد والمدح والذم والنكرة متكررة الأشخاص يتقازف الذهن من مطالعها إلى مغاربها، وينظرها بالبصيرة من منسماها إلى غاربها فيحصل في النفس لها فخامة وتكتسي منها وسامة" (ابن الزمكاني، ١٩٦٤م، ص ١٣٤).

فالتنكير يقع لفوائد، ويستعمل لمقاصد لا يمكن للتعريف أن يقوم بها لا من الوجهة اللغوية ولا من الوجهة البلاغية والدلالية. وكلها تستقى من السياق ومن مطابقتها لمقتضى الحال و المقام؛ فالوظيفة التي يقوم الاسم النكرة بها سواء وقع مسنداً إليه أم مسنداً في الجملة أو النص اللغوي لا يمكن أن يقوم بها الاسم المعرفة؛ فهي تنفرد بخصائص تنبثق من مفهوم التنكير ذاته ومن طبيعته الجمالية.

٣- المقاصد البلاغية للتنكير في حكم نهج البلاغة

٣-١- تنكير المسند إليه

وفيه مقاصد كثيرة منها:

١- الإفراء، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾ (القصص: ٢٠) أي فرد واحد من الرجال.. وقال أمير المؤمنين (ع): إنَّ لله ملكاً ينادي في كل يوم لدوا للموت وابتوا

للخراب (نسخ البلاغة، ١٣٨٩، ص ١٣٢) أي ملكا واحدا أي هناك كثير من الملائكة مكلفون بما يجري بالكون وواحد منهم يقوم بهذه الفعلة دون الآخرين منهم.

وقال: قليل مدوم عليه خير من كثير مملول عنه (المصدر نفسه، ٤٤٤) أي قليل واحد يدوم خير من كثير يمل منه وقال (ع):

٢- **التعظيم والتفخيم**، كقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ...﴾ (البقرة ١٧٩/٢) أي: حياة عظيمة.

وقال الإمام علي(ع): لنا حقّ فإن أعطيناها وإلّا ركبنا أعجاز الإبل (حكمة رقم ٢٢) أي لنا حقّ عظيم يجب أن نعطي إياه وهذا الحقّ عظيم لا يمكن التغافل والتجاهل تجاهه وقد عبّر الإمام عن ذلك بتنكير الكلمة (حق) خير تعبير وأصاب في توجيه الدلالة.

وقال (ع): للظالم البادئ غدا بكفه عضةً (حكمة رقم ١٨٦) أي عضة عظيمة حسرة علي ما فعله في الحياة الدنيا فيصوّر الإمام بذلك التنكير عظم الحسرة التي تصيب الإنسان وترهقه يوم القيامة لكن ذاك اليوم يوم لا رجوع منه ولا خلال ولا شفاعة إلا من أذن له الرحمن! فالتنكير هنا يلعب دورا أساسيا في توعية القارئ لعظم المصائب في هذا اليوم.

وقال (ع): بينكم وبين الموعظة حجابٌ من الغرّة (حكمة رقم ٢٨٢) أي حجاب عظيم يحول دون الاتعاظ فيجب الانتباه إلى هذا الحجاب والابتعاد عنه.

وقال (ع) في وصف عيد الفطر: إنما هو عيد لمن قبل الله صيامه وشكر قيامه (حكمة ٤٢٨) أي عيد عظيم ومعظم وقد عبّر الإمام عن ذلك بتنكير الكلمة (العيد) و لفت انتباه القارئ باستخدام الكلمة نكرة.

وقال (ع): كان لي فيما مضى أخ كان يعظمه في عيني صغر الدنيا في عينه (حكمة ٢٨٩) أي أخ عظيم وكريم وتنكير الكلمة يشعّ إطلاقة دلالية شاسعة يمكن استشفافها من التأخير والتنكير معا.

٣- **التكثير**، ونعني لكثرتة أنه لا يحتاج إلى تعريف، وهو يدخل في معنى التكثير للتفخيم والتعظيم أيضاً كقوله تعالى: قالوا: ﴿... إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ (الأعراف ١١٣/٧) ومنه قول العرب: إن له لإبلاً، وإن له لغنماً.

وبين الزمخشري وجه دلالة التكثير، إذ كيف يكون الاسم نكرة، وهو في الأصل دال على الواحد، مفيداً للتكثير...؟! وساق قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ (الانفطار ٥/٨٢)، ومثلها في

قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ (التكوير ٨١/١٤). (الزمخشري، ٢٠٠٢، ٢/١٠٢).

فالمعنى هو من عكس كلامهم الذي يقصدون به الإفراط، وكأنه يقول كم نفس، أو كل نفس لكثرة ما قدمت.. ومثله قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَنْحَسِرُنِي عَلَيَّ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ...﴾ (الزمر، ٥٦/٣٩) فالنفس نادمة على كثرة تفريطها في جنب الله، وقلة ما حفظت من تعاليم الدين الحنيف. قال (ع): إنَّ للخصومة فُحماً (حكمة رقم ٣) أي قحماً كثيرة فليحذروها وليكونوا منها على حذر وبتنكير هذه الكلمة نستشف الدلالة والتركيز الواسع على كثرة متاعب الخصومة ومعاطبها ولم يكن من الممكن تصوير هذه الفادحة الكثيرة الفروع إلا بالتنكير الواقع فعلاً. وقال (ع): لا تسأل عما لا يكون ففي الذي قد كان لك شغل (حكمة ٣٦٤) أي شغل كثيرة لو انتبهت إليها فقد ركز الإمام علي أهمية متابعة الماضي والتدبر فيه بتنكير كلمة شغل مما أفضى إلى الحكمة إشراقاً دلالية واسعة.

٤-التقليل، وعليه قوله تعالى: ﴿... وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ...﴾، (التوبة ٧٢/٩) أي: رضوان قليل من الله أكبر من أي رضوان.. وقوله تعالى: ﴿... وَتَعَبًا أَدْنَىٰ وَعَيْبَةً﴾ (الحاقة ١٢/٦٩) فأذن واعية على التوحيد والتنكير، لأن الوعاة قلة من الناس، والأذن الواحدة إذا وعت وعقلت عن الله فهي المراد الأعظم عند الله، وأن ما سواها لا يبالي بهم بالة وإن ملؤوا ما بين الخافقين" (الزمخشري، ٢٠٠٢، ١٥١/٤)

وقال (ع): لقد علّق بنياط هذا الإنسان بضعة هي أعجب ما فيه وهو القلب (حكمة رقم ١٠٨) أي بضعة صغيرة ربما لا يلتفت إليها مع كونها عظيمة الشأن والعمل.

٥- النوعية، أي يشير التنكير إلى نوع من أنواع النكرة، كما في قوله تعالى: ﴿... وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ غِشْوَةٌ...﴾ (البقرة ٧/٢) ويقول الزمخشري: "ومعنى التنكير أن على أبصارهم نوعاً من الأغشية غير ما يتعارفه الناس، وهو غطاء التعامي عن آيات الله، ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه إلا الله" (الزمخشري، ٢٠٠٢، ١٦٥/١)

قال (ع): إنَّ للخير والشر أهلاً (حكمة رقم ٤٢٢) أي نوعاً من الأهل والأنصار فكل حزب وكتلة يجتمع تحت لوائه أنصار وهواة يرغبون فيه أو يجيدون عنه.

وقال (ع) في موضع آخر: إنَّ للقلوب شهوة وإقبالاً وإدباراً فأتوها من قبل إدبارها (حكمة رقم ١٩٣) أي لها نوع من الإقبال والإدبار والشهوة ويجب الانتباه إلى هذه الحالات كي ينتفع بها صاحبها

في توجيه مسيرها.

وقال (ع): لكل مقبلٍ إِدْبَارٌ وما أدبر كأن لم يكن (حكمة رقم ١٥٢) أي له نوع من الإقبال و نوع من الإدبار.

وقوله عليه السلام: إنَّ لله عبادا يختصُّهم الله بالنعم لمنافع العباد (حكمة رقم ٤٢٥) أي نوع من العباد وعباد مخصوصون دون باقي العباد.

وقال عليه السلام: كل يوم لا يعصي الله فيه فهو عيد (حكمة ٤٢٨) أي نوع من العيد فالعيدله أنواع مختلفة و مطابقات كثيرة فالعيد ليس ما يعرفه الجميع والعامّة فحسب، بل يتعدى مفهومه منه إلى قضايا معنوية وأخلاقية.

وقال (ع): لكل امرئ عاقبة حلوة أو مرّة (حكمة ٢٨٩) أي نوع من العاقبة ما يوفر للمستمتع بتأخير وتنكير الكلمة (عاقبة) انتباها واسعا ويتلاءم مع الغرض المراد كما مرّ في حكمة ٤٢٥.

٧- بيان الجنس والتركيز عليه ومنه قول العرب: شرُّ أهرّ ذا ناب. قال الجرجاني: إنّما قُدِّم فيه (شر) لأن المراد أن يعلم أن الذي أهرّ ذا الناب هو من جنس الشر لا جنس الخير". ومن هنا حوِّز الجرجاني الابتداء بالنكرة في قولهم هذا، وحسُن عنده لأنه أُرِيدَ به الجنس، لأن معنى (شر) و(الشر) سواء. وهذا نظيره لديه قول العرب: أرجل أتاك أم امرأة؟ فالسؤال عن الجنس، ولم يكن القصد إلى بيان نوعه أو أنه واحدٌ أو أكثر وربما يُقدّم لتنبية المخاطب عليه، أو لتنبية السامع على شيء لا يعلمه في جملة ولا تفصيل (الجرجاني، ١٩٩٦، ص ١٨٢)

قال علي (ع): سيئةٌ تُسُوِّكُ خير عند الله من حسنةٍ تُعجَبُك (حكمة رقم ٤٦) ما كان من هذا الجنس و الذي أحزنك منه خير من جنس الحسنه التي تدفعك إلى التكبر والرضا عن النفس والأناية.

وقال (ع) عندما مرّ بجماعة الحرورية للخوارج وهم ساهرون آناء الليل مسيحين ومهللين: نومٌ علي يقين خير من صلاةٍ في شك (حكمة رقم ٩٧) أي ما كان من جنس النوم لكن على اليقين القلبي خير بكثير من صلاة يخالجهما الشك والظن.

وقوله عليه السلام: لا يقلّ عملٌ مع التقوي وكيف يقلّ ما يتقبّل (حكمة رقم ٩٥) أي لا يقلّ جنس العمل مهما كانت نوعيته بالتقوى فأى عمل اقترن بالتقوي و اتمزج به يرتفع ويتنامى دون شك، فإرادة الجنس واضحة تماما في هذه الحكمة البليغة وعلى الإنسان أن يرفق بجميع أعماله بالتقوي ولا ينظر إلى العمل دون إشرابه بالتقوى والإيمان.

٨- وهناك أسباب أخرى لتتكير المسند إليه ذكرها البلاغيون مثل إخفاء أمر ما أو اسم ما للخوف

منه أو عليه أو صوتاً له، كقولنا لرجل لا نحب ذكر اسمه: قال رجل: إنك انخرقت عن الصواب ولم أر من هذا النوع في الحكم ما ينطبق عليه. ولكن أمثلتها وردت في كتب البلاغة.^١

٣-٢- التنكير في المسند

يقع التنكير في المسند لمقاصد بلاغية عديدة تطلت إليها الكتب البلاغية بوفرة وتفاصيل حاشدة^٢ منها:

١- إرادة إفادة عدم الحصر والعهد كقولنا: زيد ناجح وعمرو راسب، فالإفادة ترمي إلى غرض الإخبار، وليس حصر النجاح بزيد والرسوب بعمرو، وليس أحدهما معهوداً بالآخر. كقوله (ع): الأمر قريبٌ والاصطحاب قليلٌ (حكمة رقم ١٦٨) وكقوله (ع): الرحيل وشيك (حكمة رقم ١٨٧) فكما نرى أن المسند جاء نكرة لعدم حكر القرب و القة والوشك إلى مسندات مذكورة فقط.

٢- إتباع المسند إليه في التنكير نحو: رُجِّلٌ واقفٌ بالباب.

وكقوله (ع): كل معدود منقضٍ وكل متوقع آتٍ (حكمة رقم ٧٥).

٣- إرادة التفخيم والتعظيم كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^٣ فالتنكير في (هدى) جاء ليدل على عظمة هداية كتاب الله وكما لها.. ونحو قولنا أنت أمير، ومحمد وزير.

وقال أمير المؤمنين (ع): البخل عارٌ والجبن منقصةٌ (حكمة رقم ٣) أي البخل عارٌ عظيمٌ والجبن منقصةٌ عظيمةٌ لأن الجميع يعرف أن البخل عيب ولا يستحسن عند الجميع؛ فالمنقوص هنا من التنكير هو التعظيم ففي تنكير الكلمة تحذير منها والحث على الابتعاد عنها فقد يُوظف التنكير متلاتماً مع السياق وحال المخاطب.

وكذلك قال (ع): العجز آفةٌ والصبر شجاعةٌ والزهد ثروةٌ والورع جنةٌ (الحكمة رقم ٤) أي آفة عظيمة وشجاعة كريمة و ثروة عظيمة وجنة عظيمة حصينة ويستشف كل ذلك عن طريق التنكير الذي استخدمه الإمام علي (ع) مما يعرب عن مفهوم التعظيم المراد في هذه الحكمة.

١- انظر مفتاح العلوم ٩١ والإيضاح ٤٥ وشروح التلخيص ٣٤٧/١ وجواهر البلاغة ١٣٧-١٣٨).

٢- انظر مفتاح العلوم ١٠٠ والإيضاح ٩٧ وشروح التلخيص ٩١/٢ وجواهر البلاغة ١٥٢).

وقال في موضع آخر: فقد الأحيّة غصّة (حكمة رقم ٦٥) أي غصّة عظيمة لا يطيقها الإنسان ويقوم التنكير لكلمة الغصّة بوظيفة دلالية توحى التعظيم وعظم الأمر هذا وصعوبته فقد نستلهم كل ذلك من تنكير الكلمة المذكورة.

وقال (ع): الحلم عشيرة (حكمة رقم ٤١٨) أي عشيرة عظيمة تحمي الإنسان تجاه الكثير من المهالك والخطوب، حيث قال عليه السلام في نهج البلاغة: كن حليماً وإلاً تحلم وهو يركز على أهمية الحلم للحياة وفوائده للتفادي دون المشاكل؛ فقد تم الكلمة بتنكيره هنا عن دلالة خاصة هي التعظيم والتركير. على أهمية الحلم في التعايش الاجتماعي وحث على التحلي به.

وقال في موضع آخر: إضاعة الفرصة غصّة (حكمة رقم ١١٨) أي غصّة عظيمة فالتنكير هنا استخدم بحق في تقديم دلالة للتعظيم متزامنا مع التأخير الذي يزيد العبارة إطلالة و تناسباً مع المعنى المتبغى.

٤- النوعية، كما قال (ع): الغني في الغربة وطنٌ والفقير في الوطن غربة (حكمة رقم ٥٦) أي إن هذا نوعٌ من الوطن وذلك نوعٌ من الغربة فقد تبين تنكير الكلمة عن المعنى وما يتوخاه الإمام في تصوير شدة فظاعة الفقر ومدى أهمية الغنى والثروة في الحياة الاجتماعية.

وكقوله (ع): اللسان سبعٌ إن خُلّي عنه عقرَ (حكمة رقم ٦٠) أي اللسان نوع من السبع إن ترك وشانه عقر ما يليه من الأعراض والحقوق؛ ففي تنكير السبع دلالة على الانتباه إلى هذا العضو الذي ربما لا يبقى ولا يذر عرضاً إلا يحدشه ويزيح ستاره.

وقال (ع): الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق والتقصير عن الاستحقاق عي أو حسد (حكمة ١٥١) أي إن الأول نوع من الملق والثاني نوع من العي والحسد لا بد من الانتباه إليهما وأخذهما بعين الاعتبار فقد توظفت الكلمات (ملق- عي- حسد) لتعبر عن معنى النوعية في استخدام دلالي متلائم و صحيح يخدم المعنى.

٥- التخصيص و يكثر ذلك في اللغة العربية وعندما يضاف اسم إلى آخر نكرة نحو قوله (ع): الدنيا دار ممرٌ لا دار مقرّ (حكمة رقم ١٣٣) أي دار لا بمعناها العام بل دار ممرٌ ومقرّ بالتحديد الدلالي.

٣-٣- تنكير الفضلات

يعدّ تنكير الفضلة في الجملة الاسمية أو الفعلية مثيراً ويحمل من الأساليب البلاغية الدقيقة ما لا يجده غالباً في كل ما تقدم، فقد يتفرد بمقاصد عاطفية وفكرية مرتبطة بالسياق كالتعظيم والتكثير والتقليل والتحديد والقصر والإهمام. ونوضّح ما ورد من ذلك في نهج البلاغة كالتالي:

٣-٣-١- الإبهام والغموض

قد ينكر الاسم فيفيد معنىً مبهماً لا يبلغ المرء كنهه فيما لو عرفه، فهو يصيب فيه غاية الإصابة ويعت في النفس تأثيراً متصاعداً، كقوله تعالى في الحديث عن يوسف وإخوته: ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ...﴾ (يوسف ٩/١٢).

فلفظ أرض نكرة، وهي أرض مجهولة بعيدة عن كل معاني الحياة.. فتكثيرها يعني أنها أرض خلاء مبهمة.. وهذا يدل على تصوير بارع لنفوس إخوته وهم يتآمرون عليه لقتله وتركه في أرض لا أنيس فيها فهو يعظم من أمر فعلهم الشنيع ويستنكره في تلك الأرض المجهولة. ويستعمل في هذا المقام الظروف المبهمة مثل (بعض)، ولفظ بعض استعمالات بلاغية شتى في القرآن وفي كلام الشعراء الكبار وقد نبه الزمخشري على هذا كله، في قوله تعالى: ﴿... فَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمْنَا أَنَّنَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ...﴾ (المائدة ٤٩/٥) فقال الزمخشري: "يعني بذنب التولي عن حكم الله، وإرادة خلافه، فوضع (ببعض ذنوبهم) موضع ذلك وأراد أن لهم ذنوباً حجة كثيرة العدد، وأن هذا الذنب مع عظمه بعضهاً وواحد منها. وهذا الإبهام لتعظيم التولي، وإسرافهم في ارتكابه. ونحو البعض في هذا الكلام ما في قوله لبيد (ت ٤١هـ):

تَرَكَ أَمَكْنَةَ إِذَا لَمْ أَرْضَها أَوْ يَرْتَبِطُ بَعْضَ النَّفُوسِ حِمَامُها

(ديوان لبيد، ١٩٨٨، ص ٢٣٤)

أراد نفسه، إنما يقصد تفخيم شأنها بهذا الإبهام، كأنه قال: نفساً كبيرة، ونفساً أي نفس. فكما أن التنكير يعطي معنى التكبير - وهو معنى البعضية - فكذلك إذا صرح بالبعض " (الزمخشري، ٢٠٠٢، ٦١٨/١).

ونجد التعظيم كذلك في دلالة (بعض) في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ

مِنْهُمْ مِّنْ كَلِمَةِ اللَّهِ وُزِعَتْ بَعْضُهُمْ دَرَجَتٍ...﴾ (البقرة ٢٥٣).

فالإبهام يفيد معنى التعظيم والتكثير بالظروف المبهمة، وبالاسم النكرة، كما يفيد التنكير التحديد والقصر والتعظيم كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ...﴾ (البقرة ٥/٢) فهذا الضرب المبهم من الحديث لا يحدد أسماء المؤمنين، ولكنه يعظم شأنهم ويحدد التعظيم بهم دون غيرهم من الناس. وقال أمير البلاغة (ع): من أحبنا أهل البيت فليستعد للفقير جلاباً (حكمة رقم ١١٢) أي جلاباً معيناً

وخاصا يتناسب مع شأن هذا الحبّ الذي يستدعي همّةً عاليةً فقد وردت الكلمة نكرة كي توعد إلى المعنى الخاصّ وهو ما نستلهمه من السياق والتأخير معا.

و قال (ع): ما قال الناس لشيء طوبى له إلا وقد حبّأ الدهر له يوم سوء (حكمة ٢١٧) أي سوءا خاصا وسيئة مبهمة لا تعرف ملاحظها وقد نشاهد توظيف الكلمة نكرة متناسبا مع مدار الحديث.

٣-٣-٢- التقليل والتكثير

سبق أن قلنا: إن التكثير يدل على التقليل، وإذا دل على الوحدة أفاد معنى التكثير. ومما يدل على التقليل من النكرات التي وردت فضلة في القرآن قوله تعالى: ﴿وَأَحْلَلْنَا عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ (طه ٢٧/٢٠).

فالنبي موسى (عليه السلام) يدعو بدعائه هذا، وهو البليغ الفصيح، وقَلَّ أن احتبس لسانه عليه، فجاءت كلمة (عقدة) نكرة لتبين قلة احتباس الكلام، وإذا حبس عليه فيسأل الله حلّ ذلك. وقد يكون السياق مدعاة للتفسير المزدوج تبعاً للمقام والمخاطب والمتكلم، كقوله تعالى:

﴿... وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا...﴾ (البقرة ٢٢/٢).

فإذا نظرنا إلى لفظ (ماء) و(رزقاً) لتبين أن تكثيرهما يفيد المعنى القليل إلى ما هو عند الله، فالماء والرزق قليلان لما يختزنه علم الله بهما وهو كثير لما يعرفه الإنسان عنهما.

و قال علي(ع): كم من أكلةٍ منعت أكلاتٍ (حكمة رقم ١٧١) أي كم من أكلة واحدة أو قليلة حالت دون أكلات كثيرة والتنوين في أكلات يدل على التكثير كما يدل تنوين لفظة الأكلة على التقليل؛ فكما نرى تنكرت الكلمة في العبارة لتوحي بتلك القلة.

وقال (ع) في موضع آخر: اعجبوا لهذا الإنسان ينظر بشحم ويتكلم بلحم ويسمع بعظم ويتنفس في حرم (حكمة رقم ٨) أي اعجبوا لمن ينظر بشحم صغير ويتكلم بلحم صغير ويسمع بعظم صغير واقع في الأذن ويتنفس في حرم (أنف) صغير فهذا كله من صنعة الله سبحانه وتعالى حيث مكن الإنسان من ذلك؛ فقد بيّن التنكير الدال على التصغير، قدرة الله في خلق أمور معقدة في آلات صغيرة جدا.

وقال (ع) في موضع آخر: لا يترك الناس شيئاً من أمر دينهم لاستصلاح دنياهم إلا فتح الله عليهم ما هو أضرّ منه (حكمة رقم ١٠٦) أي لا يترك الناس شيئاً قليلاً من أمر دينهم لاستصلاح دنياهم إلا يحدث ما تفضّل به أمير المؤمنين.

وقال (ع): أغض على القذى والألم ترض أبدا (حكمة ٢١٣) أي أبدا كثيرا وطويلا؛ فمن تعافى

عن الألم والقذى يرتح أمداً طويلاً حقاً؛ فهذا من دروس الحياة السليمة والبعيدة عن القلق و الاضطراب النفسي.

٣-٣-٣- التعميم

قد يكون التعميم في الفضلة، أو في متعلقاتها لغرض بلاغي ما، كأن يفيد التعظيم، أو غيره.. وعليه قوله تعالى في سورة البقرة (٢/٢): ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ فمن أحاز في (هدى) النصب على الحال والعامل فيه معنى الإشارة أو الظرف ذهب إلى الغرض من تنكير الكلمة إنما هو على جهة التعميم لهدف التعظيم.

قال (ع): كفى بالأجل حارساً (حكمة ٣٠٦) أي حارساً عظيماً يحرس الناس من الإقبال والتنجي عن الأفعال السيئة؛ فلو لم يكن الأجل موقوتاً للناس وما تبصره الناس يقينا لما انتهوا من أخطائهم في كثير من الأحيان.

وكقوله (ع): إذا هبتَ أمراً فقع فيه فإنَّ شدَّةَ توقُّيه أعظم مما تخاف منه (حكمة رقم ١٧٥) أي كسلَّ أمر؛ فتتكير الأمر يراد به كل أمر في الحياة، فالتنكير وظَّف للدلالة على التعميم والشمول.

٤- خاتمة واستنتاج

تلك هي جملة من أساليب التنكير في نهج البلاغة ذكرناها لندرك في ضوئها مدى الجمالية الفائقة للتنكير الذي عولج عند البلاغيين القدماء وأهل اللغة وذلك في موسوعة أخلاقية تلمع فيها البلاغة أي لمعان؛ ففي التنكير جماليات لافتة للنظر في نهج البلاغة لا نجدتها في التعريف.

وهنا يجب الإشارة إلى ما انتهت إليه القراءة الجمالية بعد الجرحاني في مجال التعريف والتنكير. فيمكن القول: إذا كان عبد القاهر قد اهتدى بذوقه الرفيع وعقله الوثاب وثقافته الواسعة إلى اكتشاف آلية موضوعية وذاتية للقراءة الجمالية مدرِّكاً فيها لعمليات التوزيع في الأنماط اللغوية والتبادل فيما بينها في إطار نظرية (النظم) فإنه كان ينظر إلى أن وظيفة التنكير لا يمكن أن تكون أقل ثراء في الدلالة من التعريف. ولعل المزية في التنكير كفيلاً بإظهار جماليات لا نحصل عليها إلا فيه. أما من جاء بعده فلم يستطيعوا أن يعرِّجوا على قامته الطويلة، على الرغم من عظمة ما قدّموه للدرس البلاغي والجمالي.

وتصبح قضية التعريف أو التنكير حالة من حالات اللغة في عملية التشكيل والصياغة وعلاقتها

بالدلالة؛ فهي بحق أثر في ممتع ورسالة تؤدي وظائف محددة وقد أدرك جمالية ذلك كله عبد القاهر الجرجاني خاصة والبلاغيون الآخرون عامة ونجد لمسات عن هذه الروائع البلاغية في قضية التنكير في نهج البلاغة إذ استخدم أمير المؤمنين التنكير أداة للتعبير عن المعنى المتوخى في اختيار صحيح ومتناسب ليكون بذلك دليلاً آخر على صحة نسبة هذا الكلام إلى أمير المؤمنين ورداً على توجيه أصابع الاتهام إلى انتحال أو وضع نهج البلاغة كما يدعيه البعض لأن الشريف الرضي مهما نال من العبقرية الفذة والخزين اللغوي الراقي فليس بإمكانه أن يحظى بدقة فائقة في انتقاء الألفاظ وإيرادها بالنكرة دون المعرفة بكل فصاحة جلييلة وبلاغة رشيقة نستشفهما في طيات نهج البلاغة بشكل عام وفي الحكم بشكل خاص؛ فهذا المعين الفيض ينبع من بليغ اعتبر الناس كلامه دون كلام الله و فوق كلام البشر. وقد استخدم الإمام علي (ع) التنكير أداة دلالية في التعبير عن المعاني الجلييلة السامية واستقى من شحنته الدلالية استقاء و جاء التنكير في معانيه المختلفة ليبدل على نواح و نقاط بلاغية واسعة المدى والتعابير. كما تم في هذه الدراسة عرض معالم عن جماليات التنكير ودلالته البلاغية لنجسد جانباً يسيراً من جوانب بلاغة الإمام علي (ع) وسناء فصاحته والله المستعان.

٥- المراجع

* - القرآن الكريم

* - نهج البلاغة

١. ابن أبي الحديد، ١٣٨٤، شرح ابن أبي الحديد علي نهج البلاغة، قرآن، منشورات ققنوس.

٢. ابن الزمكاني، عبدالواحد، ١٩٦٤، التبيان في علم البيان المطلع علي إعجاز القرآن، بغداد، مطبعة العاني.

٣. ابن هشام الأنصاري، عبدالله بن يوسف، ١٩٩٧، معني اللبيب، بيروت، دارالكتاب العربي.

٤. ابن هشام الأنصاري، عبدالله بن يوسف، ١٩٩٩، شذور الذهب، بيروت، دارالكتاب العربي.

٥. البقاعي، إبراهيم بن عمر، ١٩٩٨، نظم الدرر، بيروت، دارصادر.

٦. الجرجاني، عبدالقاهر، ١٩٩٦، دلائل الإعجاز، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٧. الخفاجي، كريم شلال، صولة الفصاحة ودولة البلاغة، موقع الناصرية www.naserya.com

٨. الزنجشيري، محمود بن عمر، ٢٠٠٢، تفسير الكشاف، بيروت، دارالكتاب العربي.

٩. السبكي، ١٣٨١، شروح التلخيص، قم، نشر أدب الحوزة.
١٠. السجلماسي، القاسم الأنصاري، ١٩٨٠، المتزوع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق الدكتور علال الغازي، مكتبة المعارف.
١١. السكاكي، يوسف ابن أبي بكر، ١٩٩٢، مفتاح العلوم، بيروت، دارالعلم للملايين.
١٢. الهاشمي، أحمد، ١٣٧٨، جواهر البلاغة، طهران، انتشارات توس.
١٣. القزويني، محمد بن عبد الرحمن، ١٩٩٨، الإيضاح في علوم البلاغة، بيروت، دارالكتاب العربي.
١٤. لبيد بن ربيعة، ١٩٨٨، ديوان لبيد، ط ٤، بيروت، دارالعلم للملايين.

کارکرد نکره و زیبایی‌شناسی بلاغی آن در نهج البلاغه مطالعه‌ی موردی کلمات قصار

سید محمد میرحسینی^۱، علی اسودی^{۲*}

۱- استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه بین‌المللی امام خمینی (ره) قزوین

۲- دانشجوی دکتری زبان و ادبیات عربی دانشگاه تهران

aaswadi@yahoo.com

چکیده:

موضوع نکره آوردن کلمات از جمله مباحث مهمی است که در علوم بلاغی، بدان پرداخته شده است و بزرگانی هم‌چون جرجانی و زمخشری درباره‌ی آن به نکات قابل توجهی دست یافته‌اند که حاکی از آن است که نکره آمدن کلمات در زبان عربی به یقین، دلیلی بلاغی دارد که بر معرفه آوردن کلمه از نظر دلالت، ترجیح داشته و با معنای مورد نظر گوینده و خواسته‌ی کلامی وی هم‌سو است.

بنابراین بر آن شدیم تا بلاغت این امر (استفاده از کلمات به‌صورت نکره) را در دریای بلاغت کلام امیرالمؤمنین(ع) و نهج‌البلاغه به نمایش گذاریم تا از سویی این امر، خود تأییدی بر نهایت اسلوب بلاغت کلام ایشان باشد و از سوی دیگر، پاسخی علمی و راسخ به اندک مدعیان تردید در صحت انتساب نهج‌البلاغه باشد؛ زیرا همگرایی سبک بیان در هنگام سخن گفتن به‌صورت بداهی و بدون تکلف و هم‌سویی آن با مقتضای حال، نشان از صاحبی سخنور و چیره‌دست هم‌چون امام علی(ع) دارد و ما در آنچه آمده به شکل عملی و تقسیم‌بندی‌شده به تبیین معانی بلاغی تنکیر کلمات در حکمت‌های نهج‌البلاغه به‌عنوان نمونه و شاخص پرداخته‌ایم تا در حد وسع، جلوه‌ای از بلاغت را به نمایش گذاریم.

یکی از مهم‌ترین اغراض نکره آمدن کلمات در حکمت‌های امیرالمؤمنین(ع) را می‌توان تعظیم، تکثیر، تقلیل، و نوعیت دانست که در سیاق عبارات‌های به‌کار رفته همسو و تأثیرگذار بر غرض و محور اصلی حکمت‌ها است و حکمت‌ها بدون آن، این پوشش معنایی لازم را ندارد. مسئله‌ای که متأسفانه بیشتر مترجمان این میراث گرانبها از آن غافل شده‌اند و ترجمه‌های فعلی، تناسب لازم با غرض سخن‌های امیرالمؤمنین(ع) را ندارد.

کلیدواژه‌ها: نهج‌البلاغه، تنکیر، تنوین، تعظیم، تکثیر.

The Function of Indefinite Article and its Aesthetic Eloquence in *Nahj-ol-Balagheh*: A Case Study of Maxims

S. M. Mirhosseini¹, A. Aswadi^{2*}

1- Assis. Prof., Dept. of Arabic Language & Literature, Imam Khomeini International Uni., Qazvin

2- Ph.D. Student, Dept. of Arabic Language & Literature, Imam Khomeini International Uni., Qazvin

aaswadi@yahoo.com

Abstract

Linguistically, the use of indefinite article in Arabic language is considered as one of the significant subjects that has attracted a lot of attention. Scholars such as Jorjani and Zamkhshari have understood some noticeable points with regard to indefinite article usage in the Arabic language. To do so has special reasons. In other words, indefinite article usage in Arabic makes our speech more eloquent. Accordingly, the use of indefinite article in Arabic is preferable to that of definite one since it is more consistent with the message the speaker wants to convey.

Hence, the reasons why I am determined to deal with indefinite article usage in Arabic are, at first I want to prove how eloquently Ali (AS) used indefinite article in *Nahj-ol-Balagheh*. In reality, nobody could use it as efficiently as he did. And secondly I want to answer affirmatively those who have some doubts about the fact that *Nahj-ol-Balagheh* was written by Ali. Only those who are skilled in speechmaking such as Iman Ali can cope with an impromptu speech, while using both eloquent and simple speech style. In fact, his speechmaking style serves all the purposes of speech under any conditions.

The current paper has tried to present a scientific classification of indefinite article usage in *Nahj-ol-Balagheh* in order to display its importance in eloquent speech making. The usage of indefinite article in Imam Ali's speech has different purposes such as greatness, profusion, diminution, and kind. The aforementioned items are both consistent with eloquent speech style and effective in purpose and focal points of eloquent speech.

Keywords: *Nahj-ol-Balagheh*; Indefinite Article Usage; Tanveen; Greatness; Profusion.